الشيعة ومحن أهل البيت عليهماالسلام

<"xml encoding="UTF-8?>

تحدث أصحاب التاريخ والسِّيَر عن محن أهل البيت (عليهم السلام) وأطالوا الحديث فيها ، ووضع الشيعة فيها كتباً مستقلّة سَمَّوُا الكثير منها بأسماء تدل عليها ، مثل : (مُثِير الأحزان) و (نَفَسِ المَهمُوم) و (الدمعةُ السَّاكِبة) و (لَوَاعِجُ الأشجان) و (رِيَاض المَصائِب) و (اللَّهُوف) و (مَقَاتِلِ الطالِبِيِّين) ، وما إلى ذلك من الكتب المشجية والحزينة .

وتكاد تتفق كلمة الباحثين القدامى والمتأخرين على أن الأمويين إنما نكلوا بأهل البيت (عليهم السلام) أخذاً بثارات بدر وأحد ، لأن الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) قتلا في هاتين الحربين شيوخ الأمويين وساداتهم .

ويستشهدون على ذلك بما تَمَثَّل به يزيد بن معاوية عندما قتل الحسين (عليه السلام) ووضع رأسه الشريف بين يديه وقال :

ليتَ أشياخِي بِبَدرٍ شَهِدُوا	جَزَعَ الخَزْرَجِ من وَقْعِ الأَسَلْ
لأَهَلُّوا واسـتَهَلُّوا فَرَحاً	ثُمَّ قَالوا : يا يزيدَ لا تشـلْ

والبحث في محن أهل البيت (عليهم السلام) واسع المجال ومتشعِّب الأطراف .

فقد ظهرت آثار هذه المحن في العقيدة ، والسياسة ، والأدب ، والتقاليد ، وما زالت تفعل فعلها إلى اليوم ، لأن محن أهل البيت (عليهم السلام) ومحن الناس جميعاً ابتدأت منذ تغيَّر نظام الحكم عند المسلمين .

فكان الحكم في عهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يقوم على مبدأ أن كل شيء لله ، فالمال مال الله ، والجند جند الله ، ومعنى هذا أن الناس جميعاً متساوون في الحقوق ، لأن الله للجميع ، وبعده بأمد قصير تغير هذا النظام وأصبح كل شيء للحاكم ، فالمال مال الحاكم ، والجند جند الحاكم ، والناس كلهم عبيد الحاكم .

فقال معاوية بن أبي سفيان : الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما أخذتُ فَلِي ، وما تركتُهُ للناس فبالفضل مني .

ولا بد من التساؤل : لماذا ذُعِر الناس لمحن أهل البيت (عليهم السلام) وتحدثوا فيها وأطالوا الحديث أكثر من غيرها ؟ ويمكننا الجواب : بأن محنهم (عليهم السلام) كانت أقسى المحن جميعاً ، وبأنها في نظر المسلمين هي محن الإسلام نفسه .

فقد أوصى الرسول (صلى الله عليه وآله) وبالغ في الوصاية بأهل بيته (عليهم السلام) ، وواساهم بكتاب الله ، وشبَّهَهُم بسفينة نوح ، واعتبر التعدي عليهم تعدياً عليه بالذات ، وهذا السبب يرجع إلى الدين ، ولا شيء يوازي احترام العقيدة الدينية وتقديسها عند المسلمين وبخاصة في ذاك العهد .

وقد رأى الناس في هذه المحن مورداً خصباً للتشهير بالحاكم وإثارة الجماهير ، ولا شيء كالخطوب والمآسي تستدعي عطف الناس وتثير إشفاقهم ورحمتهم ، وكلنا يعرف كيف استغلَّ معاوية قميص عثمان لتأليب أهل الشام على الإمام علي (عليهم السلام) .

فالشيعة أذاعوا تلك المحن وبكوا واستبكوا الناس وفاء لأئمَّتِهِم (عليهم السلام) ، وَلِبَثِّ الدعوة لهم ونشر مبادئهم (عليهم السلام) ، وأذاعها كل ناقم ومعارض للأنظمة السياسية تبريراً لنقمته ومعارضته ، ودعماً لأقواله وحجته تظلَّمَتِ الأمة لأهل البيت (عليهم السلام) ، وفي الوقت نفسه عبر بمحنهم عن ثورته على الفساد .

إن محن أهل البيت (عليهم السلام) هي محن الشعب ، ومحن الشعب هي محنهم (عليهم السلام) ، وقد أعرب عن آلامه بما ألمَّ بهم لإثارة العواطف ، لأن من أساء إليهم فبالأحرى أن يسيء إلى غيرهم .

ولأنهم المجموعة الكريمة الطيبة التي يرى فيها الشعب مثاله الأعلى ، ويتمنى أن تقوده هي أو من يماثلها في الصفات والمؤهلات ، وإلا فإن الثورة على النظام الجائر محتمة لا محالة .

واقعة الطف

وقد كانت الأسباب الأولى لِمِحَن أهل البيت (عليهم السلام) هي مِحَنٌ سياسية ، وبعد حدوثها تركت أثراً بارزاً في حياة طائفة كبيرة من المسلمين ، كانت ولا تزال تدين بالولاء لأهل البيت (عليهم السلام) .

فكارثة كربلاء وهي أفظع ما حل بأهل البيت (عليهم السلام) من كوارث ، فقُتل فيها الإمام الحسين (عليه السلام) ، وسبعة عشر شاباً وطفلاً من أهله ، وأكثر من سبعين رجلاً من أصحابه فيهم الصحابي والتابعي .

هذه الحادثة جعلت كربلاء مزاراً مقدساً عند الشيعة يفد إليها في كل سنة مئات الألوف لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) من أنحاء البلاد ، وفي كثير من الأحيان يوصي الشيعة في الهند ، وإيران ، وأطراف العراق أن ينقل رفاته من بلده ليدفن في كربلاء ، وذلك رغبةً في ثواب الله وجزائه .

وتُحيِي الشيعة في كل سنة ، وفي كل مدينة ، ووفي كل قرية من بلادهم ذكرى مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) في الثلث الأول من شهر محرم الحرام .

وفي بعض أيام السنة يجتمعون للاحتفال بهذه الذكرى ، فيروي الخطيب بعض أخبار كربلاء ومأساتها ، ويعدِّدُ المناقب والسوابق لشهدائها (رضوان الله عليهم) ، وينوح عليهم شعراً ونثراً ، ويسمُّون هذه المحافل بمجالس التعزية ، وقد وضعوا لها كتباً خاصة .

وما زال شعراء الشيعة ، منذ قتل الحسين (عليه السلام) إلى يومنا هذا يَنظُمُون القصائد الطوال ، ويصوِّرون فيها الحوادث الدامية التي جرت في كربلاء ، وهي من عيون الشعر العربي في الرثاء .

الخلاصة

فالشيعة إنما يقدسون أرض كربلاء ، ويُحيُون يوم عاشوراء ، لأنها في نظرهم رمز الجهاد المقدس في سبيل الحرية والكرامة ، وعنوان التضحية ضد الظلم والطغيان ، فإحياؤها كذلك ثورة على الظلم والطغيان .